المجلد الثالث
العدد الخامس
مارس 2025

مجلة جامعة درنة للعلوم الإنسانية والاجتماعية
DERNA UNIVERSITY JOURNAL OF HUMANITIES AND SOCIAL SCIENCES
Available online at https://dujhss.uod.edu.ly/
P-ISSN: 2959-6475 E-ISSN: 2959-6483 Impact Factor: 0.82

الكينونة والألم
إشْكَالِيَّةَ الحياة في فَلْسَفَةِ سِيُورَانْ

Being and pain

The problem of life in Cioran's philosophy

د.عبدالله علي عمران

أستاذ مشارك، الفلسفة، الآداب، عمر المختار، ليبيا

abdullah.ali@omu.edu.ly

https://www.doi.org/10.58987/dujhss.v3i5.06

تاريخ الاستلام: 2024/11/09 ؛ **تاريخ القبول:** 2025/01/01 ؛ **تاريخ النشر:** 2025/03/02

المستخلص:

يهدف البحث إلى تسليط الضوء على إحدى الإشكاليات الكبرى في فلسفة سيوران، وهي إشكالية الحياة، إذ يعتبرها مرادف لكل من الألم والمرض من جهة والموت من جهة أخرى، ليطرح سؤالا وجوديا مفصليا، عن جدارة هكذا حياة بأن تعاش؟ رغم ما فيها من ملل وعبث ولا معنى، ليصل في النهاية إلى اعتبار أن استمرار الإنسان في الحياة عمل بطولي ولا مبرر للقيام به سوى رغبة الإنسان في الألم، لكونه الشيء الوحيد الذي يمنحه الشعور بالكينونة، ويعطي لحياته معنى، فضلا على أن الإنسان يعيشها مرغما، حيث لا يمتلك حرية الاختيار، بل إن الإنسان يهرب من الحرية لكي لا يتحمل مسؤولية قسوة الحياة وعبثيتها، وليطمئن بدفء وجبرية القدر. وتطلب ذلك عرض أفكار سيوران عرضا تحليلا نقديا، تتخلله مقارنة موجزة مع آراء بعض الفلاسفة حول الإشكالية ذاتها، انتهاء باستخلاص نتائج العرض والتحليل والمقارنة والنقد.

كلمات دالة:سيوران–الحياة–الألم–الحرية.

Abstract: The research aims to highlight one of the major issues in Cioran's philosophy: the problem of life. He considers it synonymous with both pain and illness on one hand, and death on the other. This raises a pivotal existential question about whether such a life is worth living, despite the boredom, absurdity, and meaninglessness it entails. Ultimately, it concludes that the continuation of human life is a heroic act, justified only by the human desire for pain, as it is the only thing that provides a sense of existence and gives meaning to life. Furthermore, humans live it out of compulsion, lacking true freedom of choice; instead, they flee from freedom to avoid the responsibility of life's cruelty and absurdity, seeking comfort in the warmth and inevitability of fate. This necessitates a critical analytical presentation of Cioran's ideas, interspersed with a brief comparison to the views of some philosophers on the same issue, culminating in the extraction of results from the presentation, analysis, comparison, and critique.

Keywords: cioran-life- pain – freedom .

المجلد الثالث
العدد الخامس
مارس 2025

مجلة جامعة درنة للعلوم الإنسانية والاجتماعية
DERNA UNIVERSITY JOURNAL OF HUMANITIES AND SOCIAL SCIENCES
Available online at https://dujhss.uod.edu.ly/
P-ISSN: 2959-6475 E-ISSN: 2959-6483 Impact Factor: 0.82

مقدمة

تعدّ إشكاليَّة الحياة من الإشكاليَّات القليلة الَّتي اتَّفق فيها الفلاسفة واللَّاهوتيُّون، حينما اعتبروا أنَّ الحياة بشكلٍ عامٍ، مجرَّد رحلة مليئة بالصِّعاب والتَّحدِّيات والآلام، وإن كانوا اختلفوا في الأسباب والمآلات، فمنهم من يرى أنَّها اختبار لقدرات الإنسان وإراداته، لكي يحصل في نهاية المطاف على ثواب أو عقاب، وبالتَّالي تمثِّل الحياة الأخرى الأبديَّة عزاءً لكلِّ ما يعانيه الإنسان في حياته، بينما يذهب آخرون إلى اعتبار أنَّ صعاب الحياة هي التَّحدِّي الَّذي يصنع من خلاله الإنسان معنًى لوجوده، أمَّا المتشائمون فينظرون إلى الحياة والوجود الإنسانيّ برمَّته على أنَّه رحلة عقابيَّة لتعذيب الإنسان.

وتعود فكرة مأساوية الحياة إلى ديانات الشرق القديم عموما، سواء في ديانات مصر القديمة أو ديانات الهند، والتي حاولت في مجملها البحث عن أي سبيل لتخفيف المعاناة الإنسانية، سواء باللجوء إلى عالم ميتافيزيقي أخروي، أو باللجوء إلى العالم الباطني النفسي الذاتي، كما يمكن الربط بين مأساوية الحياة وبين المدرسة الكلبية التي أعلنت عبثية الحياة وعدم جدواها، وأيضا المدرسة الرواقية التي عادت مرة أخرى إلى فكرة قبول مأساوية الحياة استنادا إلى وجود حكمة إلهية عليا.

وفي العصور الوسطى التي هيمن عليها الخطاب الديني، لا يكاد يوجد اختلاف بين أنصار الأديان السماوية الكبرى، على أن الحياة مجرد رحلة قصيرة مؤقتة، وأن الحياة الحقيقية هي الحياة الأخرى أو حياة الخلود، والحياة بطبيعتها المؤقتة هي مرحلة اختبارية لذلك هي مليئة بالابتلاءات والمآسي والملذات، لكي يصل البشر في نهاية المطاف إما إلى النعيم الأبدي أو الجحيم الأبدي، والاختلاف الوحيد بين أنصار الأديان الكبرى، هو أن كل طرف يحتكر الفردوس لنفسه ويرسل بالآخرين إلى الجحيم.

وفي الحقبة المعاصرة سيطر الخطاب التشاؤمي والعبثي الذي ينتمي إليه الفيلسوف الفرنسي إميل سيوران Emil Cioran (1911 – 1995) وهو يرى أن الحياة رحلة مأساوية يعكر صفوها المرض والألم، يعيشها الإنسان مرغما، لكونها تقع بين حادثتين حتميتين هما الولادة والموت، وهو ما يفرغ الحياة من أي معنى، ويجعلها رحلة عبثية تفتقد إلى القيمة والهدف، وبالتالي يصبح السؤال عن كونها جديرة بأن تعاش، سؤالي استنكاري، اللهم إلا إذا اعتبرنا أن الألم هو في حد ذاته هدفا للوجود الإنساني.

أَوَّلًا– تَأَرجح بِنَدْول الْحَيَاةُ بَيْنَ الْأَلَمِ وَالْخَوَاء

يرى غَالبِية التَّشاؤميّين –بِاسْتثْناء سِيورَان– أنَّ الولادة لَيسَت هِي الإشْكاليَّة الجوْهريَّة، بل إنَّها تَكتَشِف بِوصْفِهَا إِشْكاليَّة، بِسَبب طَبِيعَة الحيَاة الَتِي يُواجههَا الإنْسان بَعْد وِلادَته، حَيْث تَكُون مَلِيئَة بِالْحزْن

المجلد الثالث
العدد الخامس
مارس 2025

مجلة جامعة درنة للعلوم الإنسانية والاجتماعية
DERNA UNIVERSITY JOURNAL OF HUMANITIES AND SOCIAL SCIENCES
Available online at https://dujhss.uod.edu.ly/
P-ISSN: 2959-6475 E-ISSN: 2959-6483 Impact Factor: 0.82

والْأَلَم والْمأْساة، وَمِن جِهة أُخرَى تُعَد هِي حَلقَة الوصْل اَلتِي تَربُط بَيْن الولادة والْمَوْتِ، بل هِي الشَّكْل اَلْأَولي لِلْموْتِ نَفسِه.

وتجْدر الإشارة إِلى أَنَّ أَغلَب التَّشاؤمِيّين، وبالْأخصّ شُوبنْهاور ونيتْشه وسيوران، أَخذُوا أَغلَب أَفْكارهم فِيمَا يَتَعلَّق بِالْبؤْس والْأَلَم مِن مَصادِر مُختلفَة، تَأتِي (البوذيَّة) فِي مُقدِّمتهَا، لِكوْنِهَا مِن أُولَى الفلْسفات اَلتِي أَكدَت على أَنَّ المعاناة تَعُد ظَاهِرة أَساسِية فِي عَالَم السَّمسارَا (دَورَة الحيَاة مِن الولادة مُرورًا بِالشَّيْخوخة اِنتِهاء بِالْمَوْتِ)، بل هِي أَبرَز مَعالِم عَالمِنا وَالتِي لَا بُدَّ مِن أن يَتَعرَّض لَهَا كُلّ كَائِن حيّ.(كيم، 1997، 61)

وارْتباط الحيَاة بِالْمعاناة جعل شُوبنْهاور يرى أَنَّه مِن الأفْضل أَنَّ لَا تُولّد، وَإِن وُلدَت فلَا تَتَمنَّى حَيَاة طَوِيلَة لِأَنَّ من عاش كثيرًا رَأْي شرًّا كثيرًا. (شوبنهاور، 2018، 312) كما أن الحيَاة مُجرَّد لُعبَةٍ تُشْبِه (زَهْر النَّرْد)، والْأَقْدار تَخلِط الأوْراق والنَّاس يلْعبون، والْغلبة لِلْحظّ أو لِلصُّدْفة.(شوبنهاور، 2018، 260-262)

وَغالِبا مَا يَقضِي الإنْسان حياته يُصَارِع بحْثًا عن شَيْءٍ يَحسُب أَنَّه يجْعله سعيدًا، وَنادِرا مَا يَصِل إليه، وَحتَّى فِي المرَّات القليلة اَلتِي يَصِل فِيهَا يَصِل مُنْهكًا، ويتساوى حِينهَا السَّعادة والتَّعاسة.(شوبنهاور، 2019، 34، 35) وَيمكِن القوْل بِاخْتصار إِنَّ الحيَاة تُشْبِه بَندُولا يَتَأرجَح بَيْن الألم والْخواء.(شوبنهاور، 2012، 34، 35) وَكُل هَذِه الأشْياء تَجعَل التَّفْسير المقْبول بل والْوحيد لِوجود العالم، هُو كَونُه مُجرَّد سِجْن أو مُسْتعْمرة عِقابِيَّة.(Schopenhauer,2005,16)

ويبْدو أَنَّ تِلْميذه نِيتْشه لَم يَقتَنِع بِهَذه الأجْوبة، فَأَعاد الإشْكاليَّات إِلى نُقطَة البداية، حِين أَعتبَر أَنَّ أَزمَة الإنْسان (الحيوان البشَريُّ)، تَبدَأ بِالسُّؤال اَلذِي لَا يَزَال حَتَّى الآن بِلَا إِجابة، وَهُو السُّؤَال عن سبب اَلوُجود الإنْسانيّ، (لِماذَا وجد الإنْسان؟) حَيْث يَعجِز الإنْسان عن تَبرِير ذَاتِه، وَلكِن المشْكلة الأكْبر تَكمُن فِي أَنَّه (حَيَوان سقيم) أيْ أَنَّ الألم والْمَرض جُزْء مِن وُجوده، دُون أن يَجِد مُبَررا لِهَذا الألم وَهذَا الشَّقَاء.(نيتشه، د.ت، 155) والسُّؤال هُنَا اِسْتنْكاريٌّ، بِمعْنى أَنَّ اَلوُجود الإنْسان ومَا يَترَتَّب عليْه مِن ألم يَفتَقِد إِلى اَلمُبرر لَه، مِمَّا يُفْقِده أيُّ قِيمة وأيُّ مَعْنى، لِأَنَّ اَلوُجود مِن وُجهَة نَظرِه لَيْس جديرًا بِأن يُعَاش. (نيتشه، د.ت، 86)

أَمَّا سارْتر فلَا يَكتَرِث لِهَذه الأسْئلة، مُعْتبِرًا أَنَّ مُهمَّة الفلْسفات ذات النَّزْعة الفينومينولْوجيَّة (الوجوديَّة مثلا) –فِي سِيَاق تمْييزهَا عن بَيَّن المثاليَّة– هِي القيَام بِإِدْمَاج الإنْسان فِي العالم، وَتَركَّز ثِقْلهَا على بَيَان مَظاهِر آلامه وقلقه.(سارتر، 2005، 103)

مجلة جامعة درنة للعلوم الإنسانية والاجتماعية
DERNA UNIVERSITY JOURNAL OF HUMANITIES AND SOCIAL SCIENCES
Available online at https://dujhss.uod.edu.ly/
P-ISSN: 2959-6475 E-ISSN: 2959-6483 Impact Factor: 0.82

وَلقَد ذهب (كَامُو) فِي السِّيَاق ذَاتِه، حِين بَيَّن أَنَّه على الرَّغْم مِن أنَّ الإنْسان قد يجْتاحه ألمًا مُضاعَفا، حِين يَتَألَّم لِأجل نَفسِه أوَّلا، ثُمَّ يَتَألَّم مِن أَجْل الآخرين تَاليا.(كامو، 1981، 73) إلَّا أنَّ الآلَام – كمَا فِي حِوَار النُّبلاء– لَيسَت أَزلِية ولَا تَدُوم أكثَر مِن عامٍ وَاحِد، ولوْلَا ذَلِك مَا كَانَت الحيَاة مُمْكِنة.(كامو، 1997، 16) وليْس ذَلِك لِأنَّ الألم يَزُول، بل لِأنَّ الإنْسان يَعْتاد عليْه، وَيفقِد الألم أيَّ قُدرَة على تَحرِيك العواطف. (كامو، 1981، 181)

ثَانِيًا–الْحَيَاة هِيَ الْجَحِيم الدُّنْيَوِيّ

لَا يَختَلِف سِيورَان عن بَقيَّة المتشائمين فِي مَوقفِه مِن الحيَاة، لِكوْنه يعْتبرهَا مُعْجِزة تُدَمرهَا المرارة.(سيوران، 2021، 297) وَيرَى أنَّ مَرارَة الحيَاة، مُرتبطَة بِطبيعة النَّفْس الإنْسانيَّة، فَإذَا كان الإنْسان لَم يُعْجِبه اَلمُكوث حَتَّى فِي الفِرْدوْس، فكيْف يُمْكِن أن يَقتَنِع أنَّ هذَا العالم قَابِل لِلاحْتمال.(سيوران، 2015، 19) كمَا أنَّ السُّخْط حدث حَتَّى بيْن يديْ اَللَّه، عِنْدمَا تَمرَّد الملائكة الأوائل.(سيوران، 2015، 178)

ويرجع سيوران ذلك إلىَ أهَم مَظاهِر بُؤْس الحيَاة هُو الملل Boredom ويعد الْمَلل أشدُّ فتكًا بِالْبَشر مِن العمليَّات العسْكريَّة والْحروب والْأيْديولوجيَّات.(سيوران، 2003، 74) والمتمثِّل فِي رُوتينهَا اَليوْمِي اَلكئِيب، حَيْث يَنهَض الإنْسان كُلَّ صَبَاح وَكَأنَّه صَانِع مُعجزَاتٍ يَرغَب فِي مُوَاجهَة كُلِّ صُعوبَات الحيَاة، ثُمَّ مَا يَلبَث أن يَعُود فِي المسَاء يجتر هُمومه المعْتادة اَلتِي تَتَأرجَح بَيْن العوز والْوحْدة.(سيوران، 2003، 101)

والملل يُعرِّي العقْل ويجْعَله سطْحيًّا ويفكِّك نسيجه ويقوِّضه، وغالبا ما يسيطر الملل على الإنسان فيرافقه حيثما يذهب دون أن يستطيع الفكاك منه، لدرجة أنه يصبح جزءا من وجوده، لِأنَّه فِي الْهَواء وَفِي كلماتك وَفِي كلمات الآخرين، يَلتَصِق بوجوه اَلجمِيع مِثْل القنَاع، إِنَّه يُشْبِه اَلْجَوهر وَهُو وَهْم وَحَقيقَة فِي الوقْتِ ذَاتِه، إنَّه مَا يُحدِّد هل نَحْن أَحيَاء أم أَموَات.(cioran, 2011, 83)

ويعد الموت هو السبب الأهم الذي يسلب الحياة معناها، فالْحديث عن الأهْداف فِي الحيَاة يَبدُو مُضْحِكا، عند تَذكُّر المَوْتُ.(سيوران، 2018، 109) لأن الموت يجعل الحياة ذاتها موتا مستمرا، فهناك تَجارِب لَا يُمْكننَا البقَاء على قَيْد الحيَاة بَعْد اِنْتهائهَا، لِأنَّنَا نَشعُر على إِثْرهَا أَنَّه لَن يَعُود هُنَاك مَعنَى لِأيِّ شَيْءٍ بَعْد بُلُوغ تُخُوم الحيَاة.(سيوران، 2020، 16)

المجلد الثالث
العدد الخامس
مارس 2025

مجلة جامعة درنة للعلوم الإنسانية والاجتماعية
DERNA UNIVERSITY JOURNAL OF HUMANITIES AND SOCIAL SCIENCES
Available online at https://dujhss.uod.edu.ly/
P-ISSN: 2959-6475 E-ISSN: 2959-6483 Impact Factor: 0.82

وإن أي محاولة للتعلق بالحياة لا تختلف عن محاولة اِختِباء الإنْسان دَاخِل تَابُوتٍ لِلْحفَاظ على حَياتِه. (سيوران، 2021، 287) ولو كان فِي وُسْع الإنْسان أن يَفهَم حالات الاحْتضار اَللَّا مُتناهية والْمنْتشرة مِن حوْله، وَكُّل الحياوات اَلتِي هِي مِيتَات مَخفِية، لَاحتاج إلى قُلُوبٍ بِتعْدَاد الكائنات المتعذِّبة.(سيوران، 2021، 50) وَهُو يُشير هُنَا إلى أنَّ حَالَة الحيَاة هِي حَالَة مَوْت مُؤجَّل بِسَبب القلق مِن حَتمِية الموْتِ.

فالموت يبدو فِي نظر سِيورَان، وَكأنَّه إِحسَاس دَاخلِي، أَكثَر مِن كَونِه وَاقِعة، وَذلِك حِين يُعْلِن أَنَّه يَمُوت مِن كَافَّة أَشكَال الحيَاة، مِن اَلحُب والْكراهية ومِن اَلعُزلة.(سيوران، 2020، 15) وَهِي فِكْرَة سبق أنَّ تناولهَا أُوغسْطين حِين وصف الحيَاة بِأنَّهَا حَيَاة مَائْتَة أو الموْتِ اَلحَي.(أوغستينوس، 2012، 18) وَبِهذَا يَخرُج سِيورَان بِالْمَوْتِ مِن مَعْنَاها البيولوجيّ، ويحوّله إلى حَالَةٍ شُعورِيَّةٍ صَرْف.

ليصل سيوران في النهاية إلى أن الْحياة مُجرَّد زَخارِفٍ ثَانوِيةٍ، بل هِي جحيم أَرضِيّ، ولَا جَدوَى مِن وُجُود دَرَجات لِلْجحِيم، ولَا أن تَتَغيَّر حالات وُجُود الإنْسان فِي الحيَاة، سَوَاء كان عاملا أو مِلْكًا.(سيوران، 2021، 131) بِمعْنى أَنَّه لَا يُوجَد مِن هُو فِي مَنْأى عن آلام الحيَاة وَبؤسِها، ولَا جَدوَى مِن المفاضلة الشَّكْليَّة بَيْن مُسْتويات البشر، فالْجميع سيلاقي اَلمصِير ذَاتُه وَهُو اَلجحِيم.

وَلذَلِك على البشر أن يتوقَّفوا عن تَزيين الحيَاة، ومحاولة تَحقِيق أهْدافهَا، وبدلا مِن ذَلِك عليْه أن ينْزعوا عَنهَا زِينتهَا، ويردُّونهَا إلى دلالتهَا المجرَّدة بِوصْفِهَا كِناية عن اَلشَّر.(سيوران، 2021، 204) فَهِي قِبل أن تَكُون خطأ فِي المضْمون، كَانَت الحيَاة خطأ فِي الذَّوْق، لَم يُفْلِح شَيْء ولَا حَتَّى الموْتِ نَفسَه فِي تصْحيحه.(سيوران، 2003، 39) ولا يمكن تفسير وجود الألم في العالم إلا من خلال شيطنة الحياة.(سيوران، 2020، 79) وَهُو مَا يجْعله يَصِل إلى النَّتيجة ذاتهَا اَلتِي وصل إِلَيْهَا المتشائمون السَّابقون، وَهِي أنَّ هَذِه الحيَاة غَيْر جَدِيرَة بِأن تُعَاش.(سيوران 1، 2020، 82)

وَلذَلِك يرى سِيورَان أنَّ قُدرَة النَّاس على الاسْتمْرار فِي زَيْف الحيَاة، يَعُد عملا بطوليا، وَفِي الوقْتِ نَفسِه يُعتَبَر حدثًا غَيْر مَنطقِي، فَهُو فِعْل اِحتِجاج ضِدَّ الحقيقة.(زنار، 2009، 16) وهُو نَتِيجَة لِأكْثر حالات سُوء الفهْم اَلتِي لَا يُمْكِن تفْسيرهَا، حِين تمَّ إِعلَان اَلوُجود الإنْسانيّ مُقَدسا، وليْستْ المشْكلة فقط في أَنَّه لَيْس على هذَا النَّحْو، بل إِنَّه لَا يَستَحِق شيْئًا، إِلَّا بِقَدر مَا نَتَعهَّد بِمنْعه مِن أن يَكُون كَذلِك، إِنَّه فِي أَحسَن الأَحْوال –حَادِث– ونحْن نُحَوله بِشَكل تدْريجيّ إلى فَاجِعة.(cioran, 2002, 49)

المجلد الثالث
العدد الخامس
مارس 2025
مجلة جامعة درنة للعلوم الإنسانية والاجتماعية
DERNA UNIVERSITY JOURNAL OF HUMANITIES AND SOCIAL SCIENCES
Available online at https://dujhss.uod.edu.ly/
P-ISSN: 2959-6475 E-ISSN: 2959-6483 Impact Factor: 0.82

بِكلمَاتٍ أُخرَى، يَذهَب سِيورَان إِلى أنَّ البشر يجْعلون الحيَاة أَكثَر صُعُوبَة عِنْدمَا يتعقَّلون بِهَا، وَهِي لَا تَستَحِق ذَلِك أصْلا، وَكَان لَا بُدَّ مِن أن يَكُون اَلجُهد الإنْسانيُّ فِي الاتِّجاه المعاكس، ولكن القدسية التي تضفى على الوجود الإنساني، بسبب ما جاءت به الأديان هي التي تجعل من الاستمرار في الحياة مبررا.

ثالثًا–اَلْإِنْسَان حَيَوَانٌ مُعَذَّبٌ

عِنْد حديث سِيورَان عن وُجُود الإنْسان وحياته وَصلَتِها بِالْأَلم، لَم يَزِد حرْفًا واحدًا على مَا قِيل قَبلَه فِي هذَا الصَّدد، بل يَنسَخ أَفكَار شُوبنْهاور حرْفيًّا، عِنْدمَا يَطرَح الإشْكاليَّة مِن خِلَال الإجابة عن السُّؤَال الجوْهريّ، "لِماذَا نَحْن هُنَا؟" أيُّ مَعْنى يُمْكِن أن يَتَضمنَه وُجود الإنسان؟ إنه سُؤَال بِلَا إجابة، سوى إجابة واحدة يُمْكِن الإجابة بها تِلْقائيًّا وَدُون أَدنَى تَفكِير أو شعور بالخجل، من أن تعتبر إجابة ساذجة، وهي أن البشر بِاخْتصار خلقوا لِأَجل أن يعذَّبوا، وليْس لِأَجل أيّ شَيْءٍ آخر.(سيوران، 2018، 87)

ويسْتخْلص سِيورَان مِن ذَلِك أنَّ ثَمَّة اِرْتباطًا وثيقا بَيْن اَلبُؤس وبيْن اَلوُجود الإنْسان تحْديدًا، لِأَنَّ الحيوانات لَا تَعرفَه لِكوْنِهَا لَا تُعَانِي الطَّبقيَّة والاسْتغْلال، فالْإنْسان هُو اَلوحِيد اَلذِي أذلَّ شبيهه، كمَا أَنَّه اَلوحِيد اَلذِي يَحتَقِر نَفسَه.(سيوران، 2020، 132) وإن الهدف الحقيقي لوجود البشر معا هو أن ينغص بعضهم على بعض حياتهم.(سيوران، 2015، 223) وَلذَلِك فقد حُكِم عليْه أَلَّا يَتَذوَّق سِوى سُمّ الأشْياء، وَتوَلِمه أيْ مُفَاجأَةٍ وَتَعذبَه أيْ تَجرِبةٍ.(سيوران، 2020، 20) لِيَصل فِي النِّهاية إِلى نَفْي فِكْرَة الفرْدوْس بِرمَّتِهَا، إِذ مِن اَلممْكِن أَنَّه لَم يقع اِسْتبْعاد النَّاس مِن الفرْدوْس، فغيْر مُسْتبْعَد أَنهُم كَانُوا هُنَا مُنْذ الأزل. (سيوران 1، 2020، 171)

كمَا أنَّ سِيورَان مَثلُه مِثْل رُوسُو وشوبنْهاور، يُقَارِن مِرارًا وتكْرارًا بَيْن سَعادَة الحيوانات وَبُؤس البشر، حَيْث يُرجِّب بِالْبؤْس البشَريّ ولو بِشَكلٍ فَاتِرٍ، وَذلِك لِأَنه يَشعُر بِأَنه لَا يَملِك خِيارًا آخر فِي هَذِه الإشْكاليَّة، لِكوْنه يَرفُض جميع البدائل الميتافيزيقيَّة والصُّوفيَّة والْمثاليَّة اَلتِي يُمْكِن أن تَصورهَا بِاعْتبارهَا غَيْر وَاقِعية.(Dienstag, 2006, 122)

فالْإنْسان فِي نظر سِيورَان مُجرَّد كَائِنٍ مُعذَّبٍ ضَائِعٍ، فِي غِيَاب أيّ مَعْنى أو تَوجِيهٍ ثَابِتٍ فِي الحيَاة، ويعد العذَاب شُعورًا مُزْعِجا ومحْبَطًا بِطبيعته، ويكون التَّحَرُّر مِن قُيوده، هدفا أساسيّا للإنسان. (Lebedeva, 2015, 115) ولكن ذلك لا يتحقق إلا بتذكر المصائب اَلتِي نجا مِنهَا، لِيعيش سعيدا.(سيوران، 2015، 69) ووفْقًا لِهَذه الرُّؤْية يَعُد الألم جُزْءًا أَساسِيا مِن الحيَاة، بل هُو جوْهرهَا، ومَا يُضْفِي عليْهَا المعْنى، بل حتى اَلهُروب مِن الألم لا يتحقق إلا بتذكر الآلام السابقة.

المجلد الثالث
العدد الخامس
مارس 2025

مجلة جامعة درنة للعلوم الإنسانية والاجتماعية
DERNA UNIVERSITY JOURNAL OF HUMANITIES AND SOCIAL SCIENCES
Available online at https://dujhss.uod.edu.ly/
P-ISSN: 2959-6475 E-ISSN: 2959-6483 Impact Factor: 0.82

بكلمات أخرى، يدين الإنسان لِلتَّعَاسَةِ ببناء كَيْنُونَته اَلْخَامَ، وَكُلَّ اَلْقُوَى اَلْمُخْتَلِفَةِ اَلَّتِي تَمْنَحُ اَلْعَالَمَ مَلَامِحَهُ، فَالتَّعَاسَةُ مُهَنْدِسُ اَلتَّنَوُّعِ وَعَامِلَ اَلصَّيْرُورَةِ، بَلْ لَيْسَ هُنَاكَ مِنْ مَعْنَى مُمْكِنٍ لِأَيِّ حَدَثٍ لَا يَنْتَهِي بِسَحْقِ البشر، وَلَوْلَا اَلْكَآبَةُ لِتَحَوُّلِ اَلْبَشَرِ إِلَى دُمًى مَحْشُوَّةٍ بِكُرَاتٍ حَمْرَاءَ.(سيوران، 2021، 115، 116)

وعلى الرغم من عدم تمييز سيوران، بين أنواع الحزن والبؤس المختلفة واستخدامه لألفاظ الألم والمعاناة والمأساة دون أي تفريق بينها، إلا أنه يركز أكثر على الكآبة، بوصفها العلامة الأبرز لحزن وبؤس الإنسان، فالكآبة تشبه الأنانية، حيث تجعل الإنسان يتقوقع في ذاته، إذ لا شيء يستحق العناء وليس ثمة دافع لأي مشاعر، فليس هناك سوى السقوط والهلاك، وكآبة في فضاء لا متناهٍ.(سيوران، 2021، 132) وهو ما يجعلها أشبه بالمنفى.(سيوران، 2020، 148)

ويركز بشكل كبير على ما يسميه اَلْكَآبَةِ البَاطِنِيَّةَ–تمييزا لها عن الكآبة الخارجية التي يمكن علاجها والتخلص منها– تلك التي تَلَازُمِنَا فِي كُلِّ مَكَانٍ دُونَ أَنْ تَتْرُكَنَا لَحْظَة وَاحِدَة لِوَحْدِنَا، حيث تُمَثِّلُ اَلْحُضُورَ اَلطَّاغِيَ اَلْمُؤْذِيَ وَلَا شَيْءَ يَسْمَحُ لَنَا بِالْخَلَاصِ مِنْهَا أَنَّهَا تُمَثِّلُ اَلْأَنَا فِي مُوَاجَهَةِ نَفْسِهَا إِلَى اَلْأَبَدِ.(سيوران، 2018، 51)

رابعا–اَلْأَلَم اِخْتِرَاعٌ بَشَرِيٌّ.

والسُّؤال المنْطقيُّ اَلذِي يَطرَح فِي هذَا السِّيَاق، هُو مَا هِي مزايَا اَلبُؤس، ولماذَا يَرتَبِط بِالْوجود الإنْسانيّ؟ وَهُو مَا أَجَاب عليْه المتشائمون السَّابقون أَمثَال نِيتْشة، اَلذِي اِعتبَر أنَّ الألم قد قد يُدْرِج فِي قَائِمة الضَّروريَّات، لِدرجة يُطَالِب بَعضُهم بِأنَّ يَحصُل لَيْس على السَّعادة، بل على الشَّقَاء، بِحَيث يَكُون لَديْه (غُولا) لِيصارعه، لِأنَّ ذَلِك يُشْعِره بِالْقوَّة.(نيتشه، 1993، 85)

كمَا يُوجَد فِي الألم حِكْمَة بِقَدر مَا يُوجَد فِي اَلمُتعة، بل إِنَّ الألم لَا يَقِل أَهَميَّة عن اَلمُتعة فِي حِفْظ النَّوْع البشَريّ، لِأَنه بِمثابة إِنذَار بِوجود خطر قَادِم.(نيتشه، 1993، 186) والْأَهمَّ مِن ذَلِك كُلُّه أنَّ المعاناة هِي اَلتِي تُعْطِي لِلْحيَاة طعْمهَا، ولوْلاهَا لَأفلَتت مِنَّا اَلكثِير مِن المباهج.(نيتشه، 2013، 203)

ويذْهب سِيورَان فِي الاتِّجاه ذَاتِه، فَهُو يُعْطِي أَهَميَّة أَكبَر لِلْألم، لِدرجة أنَّ البشر قد يخْترعون آلامهم أو يتخيَّلونهَا، ويجْعلون مِنهَا حَقيقِية، لِأَنَّهم لَا يسْتطيعون الاسْتغْناء عن الألم.(سيوران، 2015، 66) لِكَون الألم هُو اَلمُكون الأساسيُّ لِلْعالم، وأنَّ الأهْوال اَلتِي يَزخَر بِهَا الكوْن، تُشكِّل جُزْءًا لَا يَتَجزَّأ مِن مَادتِه؛ وبدونهَا يَتَوقَّف الكوْن عن اَلوُجود.(cioran, 2002, 45) وعليْه فَإِن المعاناة هِي الطَّرِيقة الأسْمى لِأَخذ العالم بِجدِّيَّة.(Cioran, 2010, 62)

مجلة جامعة درنة للعلوم الإنسانية والاجتماعية
DERNA UNIVERSITY JOURNAL OF HUMANITIES AND SOCIAL SCIENCES
Available online at https://dujhss.uod.edu.ly/
P-ISSN: 2959-6475 E-ISSN: 2959-6483 Impact Factor: 0.82
المجلد الثالث
العدد الخامس
مارس 2025

فحين يتعذب البشر فيكون عذابهم إما رائعا أو عادلا أو عبثيا، ويمثل الشقاء قوام كل شيءٍ يتنفس، ولكنه يتطور ويغير من طرائقه مما يدفع كل كائن إلى الاعتقاد بأنه أول من يتعذب، وهو ما يجعله يشعر بالزهو.(سيوران، 2021، 38)

ومن هذا المنطلق يعد الظمأ للبؤس هو مفتاح ما هو ملغز في أقدار الإنسان، وقد يكون عميقا وسريا، وأكثر استمرارية من الرغبة المبتهجة بالسعادة، التي لو هيمنت ما استطاع تفسير الحرمان الأبدي من النعيم، والمأساة كشرط طبيعي للوجود، فكل التاريخ يبرهن وبشكل بديهي، على أن الإنسان لم يهرب من الألم، بل كان يعشقه ولذلك اختراع الجحيم وابتكر فخاخا كي لا ينجو من سحره.(سيوران 1، 2020، 74)

والْحياة بِرمَّتِهَا تَدُور حَوْل الألم، والْباقي تكْميليٌّ، بل يُمْكِن اِعْتباره غَيْر مَوجُود أصْلا، بِمَا أَننَا لَا نَتَذكَّر إِلَّا مَا يُؤْلِم.(سيوران، 2015، 114) فَكُل شَيْءٍ ألم.(سيوران، 2015، 20) وَكُل مَا هُو لَيْس ألمًا لَا اِسْم لَه، حَيْث يَبلُغ اَلوُجود ذُروَتَه فِي الألم.(سيوران 1، 2020، 149) وفي المحصلة فأيَّ شَيْءٍ يَكُف عن إِثارة الشَّفَقة، يُصْبِح غَيْر مَوجُود.(سيوران، 2015، 12)

بل لَابُدَّ مِن إظهَار الألم، لِأنَّ الرَّجل المتألِّم خطر عامٍ مُختَل تَزْداد خُطورَته بِقَدر مَا يَضطَر فِي أَغلَب الأحْيان إِلى إِخفَاء أَلمِه مَصدَر طَاقَتِه.(سيوران، 2010، 111) وَلذَلِك على الإنْسان أن يُنْذِر كل حياته تقريبا لِلْعذَاب أو التَّفْكير فِيه.(سيوران، 2021، 46) ويَعتَبِر كُلِّ حِوَارٍ مع شَخْصٍ لَم يَعرِف الألم مجرد ثَرثَرَة.(سيوران، 2014، 38)

وإذا كانت الأشياء غير مؤذية فهي بطبيعة الحال لن تكون مجدية.(سيوران، 2015، 59) لأن الحزن هو الذي يمنح الإنسان اسما، والخيبات هي التي تحقق له ذاته. (سيوران، 2021، 102) والمريع وحده يستطيع أن يمنحه السكينة.(سيوران، 2015، 14) ولذلك لا ينتهي البشر إلا عندما يفشلون في تجديد حسراتهم.(سيوران، 2003، 175)

ورغم عدم إنكار سيوران لوجود السعادة تماما، إلا أنها حكر على قلة من البشر.(سيوران، 2003، 53) وعليه ما هي إلا بضعة أجيال أخرى ويغدو الضحك حكرا على بعض النخب، مستعصيا على الممارسة للجميع.(سيوران، 2003، 159) ورغم عدم إنكار وجود السعادة إلا أنه لا يميز بينها وبين الشقاء فهما يتسببان بنفس القدر في التعاسة وبذلك لا يوجد سبب منطقي لتفضيل السعادة على الشقاء.(سيوران، 2018، 73) بل يمكن القول أن السعادة الفجة تسبب ضررا أكبر لأنها هي التي تجعل

المجلد الثالث
العدد الخامس
مارس 2025
مجلة جامعة درنة للعلوم الإنسانية والاجتماعية
DERNA UNIVERSITY JOURNAL OF HUMANITIES AND SOCIAL SCIENCES
Available online at https://dujhss.uod.edu.ly/
P-ISSN: 2959-6475 E-ISSN: 2959-6483 Impact Factor: 0.82

البشر أكثر حدة وليس الشقاء.(سيوران، 2015، 101) وذلك لأن السعادة –غير المنتظمة وغير المحتملة– تتطلب جهدا مرهقا للتكيف، بينما يوفر البؤس الأمان وصرامة الطقوس. (cioran, 2002, 40)

والطبيعة الإنسانية ذاتها تؤكد ذلك، فإذا كان الإنسان يبحث حقا عن السعادة بإصرار، فلماذا يختار بمثل هذه العاطفة العنيفة المسارات الهابطة؟ فعلى الرغم من أن الإنسان يحترم السعادة والخير أكثر، ولكنه ينجذب أكثر إلى التعاسة والشر.(Cioran, 2010, 62)

خلاصة القول، لا يرتقي المرء في نظر سيوران إلى مستوى الإنسان، من خلال الدين أو الفن، بل من خلال الرفض الواضح للسعادة، لعدم قدرة البشر العميقة على أن يكونوا سعداء.(سيوران 3، 2020، 29) ولا توجد إهانة أبلغ من أن نصف أحدهم بأنه سعيد.(سيوران، 2021، 166) لأن الشعور بالسعادة يعني الشعور بالاكتمال، وهو الوقت المناسب للانسحاب إلى الأبد (أو الموت).(سيوران، 2015، 196) يشير البحث عن السعادة إلى المسافة بين الفردوس ودرجة الانحطاط البشري. (سيوران 1، 2020، 38)

ورغم احتفاء سيوران بالألم والحزن والتعاسة، إلا أنه يشير إلى بعض السلبيات التي تشوبها، وأولها أن الحزن شهية مستمرة لا تشبعه أي مصيبة.(سيوران، 2003، 77) ولذلك هو يكرر نفسه دائما.(سيوران، 2018، 122) حتى يتحول إلى أسىً نهائيّ.(سيوران، 2015، 67) إضافة إلى أن اَلْبُؤْسُ الأبدي يُدَمِّرُ كُلَّ شَيْءٍ فِي اَلْحَيَاةِ وَيَجْعَلُهَا بَشِعَةً وَشَبَحِيَّةً.(سيوران، 2020، 132) لأنه يجردها من كل إحساس بالمسؤولية.(سيوران، 2021، 124)

خَامِسًا– الْجَبْرِيَّةُ المُبَرِّر الْوَحِيد لمَأسَاوِيَة الْحَيَاةُ

لقد تناول سيوران إشكالية الحرية في سياق مختلف عن الإرث الوجودي، الذي يعتبر الحرية هي أساس الوجود الإنساني، بل ضحى الوجوديون بفكرة الله في مقابل التأكيد على فكرة الحرية، بينما يذهب سيوران إلى الطرف الآخر، وإن كان يبقى في الإطار التشاؤمي الذي يؤكد على جبرية الحياة كما هو الحال عند شوبنهاور، لأن ذلك هو المبرر الوحيد لتحمل مأساويتها.

فإذا كانت كل حقائق الوجود الأساسية تنفي الحرية وتقع تحت عنوان الحتمية، التي تنبع من عجز الحياة على تجاوز شروطها ووحدتها المتلازمة، وحين يعيش المرء في الوعي الحاد بالحتمية وبعجزه

المجلد الثالث
العدد الخامس
مارس 2025
مجلة جامعة درنة للعلوم الإنسانية والاجتماعية
DERNA UNIVERSITY JOURNAL OF HUMANITIES AND SOCIAL SCIENCES
Available online at https://dujhss.uod.edu.ly/
P-ISSN: 2959-6475 E-ISSN: 2959-6483 Impact Factor: 0.82

الذاتي أمام المسائل الكبرى، فهذا يعني مواجهة مباشرة للاستفهام الرئيس الموجه لهذا العالم.(سيوران، 2020، 102) وهو ما الهدف من الوجود الإنساني وما معنى الحياة؟

وتأسيسا على ذلك فإن الحرية ترتبط بموقفه من مأساوية وعبثية الحياة، لأن تصور الحرية يضع الإنسان في مواجهة أمام تبعاتها النهائية، ويضع الحياة موضع السؤال، وتوحي بأن أمام الإنسان الاختيار بين الهلاك أو النجاة، ولكن في الحقيقة ليس العالم سوى مذبح رديء وفردوس وهمي.(سيوران، 2021، 95) وأهم ما يترتب على ذلك هو أن الحرية المزعومة تجعل الإنسان يتألم أكثر من أي شكلٍ من أشكال الحياة المقيدة.(سيوران، 2020، 99)

ويرى سيوران أن الجدل النظري والفلسفي حول مشكلة الحرية، والذي يجعل منها وكأنها مشكلة عصية على الحل، لا يفيد شيئا سوى بإتاحة الفرصة لمزيد من الثرثرة، فلا فرق بين أن ينتهي الجدل بأن نؤيد الحرية أو نؤيد الحتمية، ففي الحالتين ليس بوسعنا مواجهة حريتنا لأننا نخاف من اتساع دائرة الممكن، فقد تعودنا على القيود والقوانين، وترعبنا فتنة الاعتباطي.(سيوران، 2021، 94)

ولذلك من النادر العثور على أشخاص قادرين على تحمل ما ينجزونه رغم حريتهم حيث لا يتحقق في النهاية سوى فراغ وظلمة.(سيوران 2, 2021، 64) بل قد لا تجد أحدا مسؤولا عمّا يكون ولا حتى عمّا يفعل، حتى أصبح الأمر بدهيا يوافق عليه الجميع.(سيوران، 2015، 65) كان يمكن لفكرة المسؤولية أن تصبح ذات معنى في حالةٍ واحدةٍ فقط، وهي أننا استشرنا قبل أن نولد ووافقنا على أن نكون تحديدا ما نحن عليه. .(سيوران، 2015، 121) وهو ما لم يحدث مما يعني أن الولادة والقيد مترادفان.(سيوران، 2015، 260)

والاعتماد على أي شيء يعني أن البشر مكبلين بالأغلال، حتى لو جاء ذلك على هيئة مكافأة مثل الجنة التي يسعى إليها المؤمن والنار التي يخشاها الفاسق، فالحرية تعني التخلص إلى الأبد من فكرة المكافأة، وهو أن لا تتوقع شيئا من البشر أو الآلهة، وبالتالي تتخلى ليس فقط عن هذا العالم وكل العوالم ولكن أيضا عن الخلاص نفسه ومن التفكير فيه.(cioran, 2002, 49)

إن الإنسان لا يكون حرا حين يتعلق الأمر بما هو عميق فيه أما على السطح فهو يصنع ما يريد أما في طبقاتهم المعتمة فإن الإرادة لفظ خال من أي معنى.(سيوران، 2018، 8) وكل شي في الحياة يشير إلى الحتمية، فمن الناحية البيولوجية يتنفس الإنسان بناء على حكمٍ مسبقٍ، ومن الناحية السلوكية يخضع للأعراف والتقاليد، ويعيش بشكل بدافع المحاكاة واحترام قواعد اللعبة.(سيوران، 2021، 178) أي

مجلة جامعة درنة للعلوم الإنسانية والاجتماعية
DERNA UNIVERSITY JOURNAL OF HUMANITIES AND SOCIAL SCIENCES
Available online at https://dujhss.uod.edu.ly/
P-ISSN: 2959-6475 E-ISSN: 2959-6483 Impact Factor: 0.82

أن الإنسان يعيش عبدا لأشكال التي يقوم بتوليدها والاعتناء بها وعبادتها. (سيوران، 2021، 187) وهو ما يعني في المحصلة أن الحرية تبدو جميلة في النطاق ذاته الذي تبدو فيه مستحيلة.(سيوران، 2014، 34)

كما تخبرنا الأديان أن المرة الوحيدة التي حصل فيها الإنسان على حرية الاختيار تسبب في أكبر أزمة عرفها الوجود الإنساني، ليس منذ لحظة الولادة، بل قبل ذلك بكثير، أي عندما منح الإنسان الحرية وهو في الفردوس، فأقدم على أول مغامرة مؤسفة ترتب عليها كل المآسي بعد ذلك.(سيوران، 2015، 215) ويستعمل سيوران هنا فكرة الخطيئة كبرهان عكسي لدحض فكرة الحرية فهي غير ممكنة وحتى لو كانت ممكنة فالإنسان لا يستحقها.

فمن المنظور الديني يستحيل التوفيق بين كليانية القدرة الإلهية وبين الحرية البشرية.(سيوران 2, 2021، 18) والحقيقة الوحيدة التي تعبر عن حياة البشر هي "أن كل شيء يسير نحو مجراه".(سيوران، 2015، 68) لأن البشر أعدوا للخلاص والهلاك الأبدي وهم في بطون أمهاتهم، فقد عاشوا حياتهم قبل أن يولدوا.(سيوران، 2015، 114) وقد اختار الله لهم كل شيء حتى ربطات العنق.(سيوران، 2003، 110)

إن التّاريخ وعلم الأديان والحياة اليومية كلها تعلمنا أن سر التوازن في الحياة هو الخضوع والقبول بالرزوخ تحت نير القدر لتحقيق السعادة، فمناصبنا تنتظرنا قبل ولادتنا وحياتنا المهنية تعد ونحن في أرحام أمهاتنا، فموقعنا تحدده آلية قدرٍ متصلبٍ لا يرتخي إلا لفائدة المجانين حيث لا يلتزمون بأي عقيدة.(سيوران، 2021، 262) لذلك من لا يؤمن بالقدر هو في الحقيقة لم يعش.(سيوران، 2018، 110) في فكرة القدر المحتوم شيء ما يغريك ويبقيك دافئا.(سيوران، 2015، 214)

وعلى الصعيد الاجتماعي فإن الإنسان المتحرر من مبادئ التعامل مع الآخرين ولا يجيد التمثيل، هو نموذج الحظ السيئ والمخلوق الشقي، فمن لا يقبل الكذب يرى الأرض تتهاوى تحت أقدامه، فالحياة لا تطاق إلا بقدر ما نزينها بالخداع، لأن البشر لا يطيقون بعضهم البعض إلا بقدر ما يمارسون من دجل، لذلك هم معدون بيولوجيا على الزّيف، ولولا ذلك لانهارت كل التعاملات الإنسانية من صداقة وحب.(سيوران، 2021، 179)

كما أن الإنسان مرغم على الإيمان بالحتمية لأنه يمتلك جسدا يرغمه على ذلك، لكونه معرض للألم فما أن يؤمن بالحرية حتى يرغمه المرض على التراجع عن ذلك الاعتقاد.(سيوران، 2018، 62) فلا

مجلة جامعة درنة للعلوم الإنسانية والاجتماعية
DERNA UNIVERSITY JOURNAL OF HUMANITIES AND SOCIAL SCIENCES
Available online at https://dujhss.uod.edu.ly/
P-ISSN: 2959-6475 E-ISSN: 2959-6483 Impact Factor: 0.82
المجلد الثالث
العدد الخامس
مارس 2025

يختار الإنسان الطرق التي يسير فيها إلا عندما يكون معافى، فالسؤال عن الحرية يعد تفاهة، حين نكون أمام عقل يجرجره هذيانه، إن إدعاء الحرية سفسطة أصحاء.(سيوران، 2003، 55)

وكل من يلتزم بمهمات كبرى يعلم أنه واقع تحت رحمة حقيقة تتجاوزه، وحدهم ذوي العقول السطحية واللا مسؤولون يعتقدون أنهم يتصرفون بحرية.(سيوران 2, 2021، 16) وعليه تقاس درجة تحررنا بكمية المشاريع التي نتحرر منها، كما تقاس بقدرتنا على تحويل أي شيء إلى لا شيء، ولا معنى للحديث عن التحرر من أجل الإنسانية.(cioran, 2011, 28)

إن الحرية لا تشغل في مجرى الزمن أكثر مما تشغله لحظه بسيطة أنها تفلت منا تحديدا لحظه نحاول الإمساك بها والتعبير عنها فليس في وسع أحد من أن يستمتع بها دون أن يرتجف، الحرية فانية بامتياز لذلك هي ما أن تنشأ حتى تعلن عن فقدانها كل مستقبل وتأخذ في العمل بكل قواها الملغومة من أجل إنكار نفسها والشروع في الاحتضار ألا يختلط حبنا لها ببعض الانحراف أليس مروعا أن نعبد ما لا يريد البقاء ولا يقدر عليه.(سيوران، 2010، 36)

يصل سيوران في النهاية إلى نتيجة مفادها إن الحرية وهم، لأن أقل تقلبٍ في الطقس ينسف مشارعينا، وهذه التبعية تنسف كل أوهامنا بالحرية.(سيوران، 2015، 41) والكلام (اللغة) هو المسؤول عن توهم البشر بأنهم أحرارا، لأنهم يعبرون عما يريدون القيام به، ولو أنهم التزموا الصمت لأحسوا أنهم آليون.(سيوران، 2015، 199) وعلى البشر التخلص من هذا الوهم، فحتى لو شعروا بأنهم أحرار لابد أن يتيقنوا بأنهم ليسوا كذلك.(سيوران، 2015، 115)

فالحرية تتشكل من مجموعة متناقضات، فمن الجنون الاعتقاد بأن الحقيقة تكمن في الاختيار، في حين أن كل موقف يعتبر احتقارا للحقيقة، أن الاختيار واتخاذ الموقف حتمية لا مفر منها، فكل واحد منا ينحاز إلى لا حقيقة أو إلى خطأ ما، كما يفعل معتنقوه رغما عنهمْ.(سيوران 2, 2021، 15) ولا يصبح الإنسان حرا إلا إذا صنع عالم المحيط بنفسه، ولكنه سيكتشف أنه أصبح في عبودية بعد ذلك.(سيوران، 2015، 174)

خاتمة

لم يختلف الفلاسفة المتشائمون والعبثيون والوجوديون، مع اللاهوتيين والإنسانيين، على أن الحياة تعد مرحلة معقدة ومربكة ولا تخلو من الألم والمرض والعذاب وبأنها الممر المظلم إلى الموت، ولكن الخلاف الجوهري بينهم انحصر في الإجابة على السؤال المهم وهو "هل الحياة جديرة بأن تعاش؟" فاحتج

المجلد الثالث
العدد الخامس
مارس 2025

مجلة جامعة درنة للعلوم الإنسانية والاجتماعية
DERNA UNIVERSITY JOURNAL OF HUMANITIES AND SOCIAL SCIENCES
Available online at https://dujhss.uod.edu.ly/
P-ISSN: 2959-6475 E-ISSN: 2959-6483 Impact Factor: 0.82

العبثيون على جدوى السؤال أصلا، بينما ذهب الوجوديون إلى أن الإجابة على هذا السؤال، هي الهدف الوحيد من الوجود الإنساني، أما التشائميون والعدميون، فيرون أنها غير جدير بذلك إلا لو كان الهدف هو المعاناة نفسها، أو لم يكن الإنسان يمتلك حرية الاختيار بل هو مرغم على عيشها.

ويمكن القول أن سيوران كان من أكثر الفلاسفة المتشائمين تحليلا وتفصيلا في عرض إشكالية الحياة، وذلك لكونه ارجع الإشكالية إلى طبيعة النفس الإنسانية أيضا، وليس بسبب مأساوية الحياة فحسب، فالملل جزء أصيل من طبيعة البشر، مما يدفعهم إلى السخط، وليس أدل على ذلك من شعور الإنسان بالممل والبحث عن الخلود مما دفعه إلى ارتكاب الخطيئة في الفردوس وبين يدي الله، فهل نتوقع أن تعجبه الحياة خارجه؟

إضافة إلى أن الحياة نفسها مجرد زخارف فارغة، لكونها تنتهي بأبشع طريقة وهي الموت، مما يعني أنها تفتقد إلى أي هدف، ومن هنا يجب اعتبار أن استمرار الإنسان في الحياة هو عمل بطولي، فحياة الحيوانات أفضل من حياة الإنسان، لكونه يقاسي خلال حياته كل أنوع الألم، وليس هذا وحسب، بل إن الإنسان أحيانا ينسب إلى الألم الكثير من المزايا، فجعله جزءا من هويته وكينونته، مما اضطره إلى اختراعه إن لم يجده جاهزا.

كما أن الإنسان لجأ إلى الميتافيزيقا والحتمية، باعتبارهما ترياقا ضد الألم والكآبة، وبحث عنهما في كل شيء، في حتمية الخلق والولادة والموت، في الأديان والعبادات وفي العادات والتقاليد، فالحتمية ترفع عن الإنسان عبء المسؤولية، لأنه لو كان حرا لأرغم على إصلاح الحياة ودفع ما يواجهه من ألم وتفادي ما بها من مأساة، مما يجعله يكافح من أجل ذلك، ولن يحقق شيئا سوى المزيد من الخيبات والألم.

بينما الركون إلى الحتمية، والتحجج بالقدر، يجعل الإنسان أكثر راحة وقبولا للحياة بشكلها الحالي، دون أن يتكبد عناء محاولة إصلاحها وتحميل نفسه مسؤولية ما يحدث له وما يحدث حوله، ولعل هذه النقطة تضعه على الطرف النقيض من الفلسفة الوجودية التي يميل إلى الأخذ منها في كثير من أفكاره، لكونها فلسفة تعلي من شأن الحرية، وتضع الإنسان في مواجهة أقدار متسلحا بما لديه من مسؤولية، لكي يصنع معنى لوجوده ويحقق ماهيته.

المجلد الثالث
العدد الخامس
مارس 2025

مجلة جامعة درنة للعلوم الإنسانية والاجتماعية
DERNA UNIVERSITY JOURNAL OF HUMANITIES AND SOCIAL SCIENCES
Available online at https://dujhss.uod.edu.ly/
P-ISSN: 2959-6475 E-ISSN: 2959-6483 Impact Factor: 0.82

أ-المصادر والمراجع العربية

(1) أوغستينوس(2012) الاعترافات، (ت) إبراهيم الغربي، دار التنوير، تونس
(2) زنار، حميد،(2009) المعنى والغضب، الاختلاف، الجزائر
(3) سارتر، جان بول،(2005) تعالي الآن موجود، (ت) حسن حنفي ، دار التنوير، بيروت
(4) سيوران، إميل،(2003) المياه كلها بلون الغرق، (ت) آدم فتحي، منشورات الجمل، بيروت
(5) سيوران، إميل،(2010) تاريخ ويوتيوبيا، (ت) آدم فتحي، منشورات الجمل، بيروت
(6) سيوران، إميل،(2014) لو كان آدم سعيدا،(ت) محمد علي البوسيفي، منشورات أزمنة، الدوحة
(7) سيوران، إميل،(2015) مثالب الولادة، (ت) آدم فتحي، منشورات الجمل، بيروت
(8) سيوران، إميل،(2018) اعترافات ولعنات، (ت) آدم فتحي، منشورات الجمل، بيروت
(9) سيوران 3، إميل،(2020) دموع وقديسون، (ت) عبدالوهاب الملوح، منشورات الصفحة سبعة، الجبيل
(10)سيوران، إميل،(2020) على مرتفعات اليأس،(ت) عبدالوهاب الملوح، منشورات الصفحة سبعة، الجبيل
(11)سيوران 1، إميل،(2020) غسق الأفكار، (ت) عبدالوهاب الملوح، منشورات الصفحة سبعة، الجبيل
(12)سيوران 2، إميل،(2021) تمارين في الإعجاب، (ت) آدم فتحي، منشورات الجمل، بيروت
(13)سيوران، إميل،(2021) رسالة في التحلل، (ت) آدم فتحي، منشورات الجمل، بيروت
(14)شوبنهاور، آرثور،(2012) فن الأدب، (إعداد) بيلي سوندرز، (ت)، شفيق مقار، المركز القومي للترجمة
(15)شوبنهاور، آرثور،(2018) فن العيش الحكيم، ترجمة عبدالله زارو، دار الآمان، الرباط
(16)شوبنهاور، آرثور،(2019) تهمة اليأس، (ت) الطيب الحصني، دار الصفحة 7، الجبيل
(17)كامو، ألبير،(1981) الطاعون، (ت) سهيل إدريس، دار الآداب، بيروت
(18)كامو، ألبير،(1997) كاليجولا، (ت) يوسف الجهماني، دار حوران، دمشق
(19)كيم، يونج شوون،(1997) الفكر الشرقي، (ت) طلعت مراد، جامعة عمر المختار، البيضاء
(20)نيتشة، فريدريك(1993) العلم المرح، (ت) حسان بورقية، محمد الناجي، أفريقيا الشرق، الرباط
(21)نيتشة، فريدريك(2013) الفجر، (ت) محمد الناجي، أفريقيا الشرق، الدار البيضاء
(22)نيتشة، فريدريك(د.ت) أصل الأخلاق وفصلها، (ت) حسن قصيبي، المؤسسة الجامعية، بيروت

ب-المراجع والمصادر الأجنبية

(1) **Cioran, Emil,(2010)** The Book of Delusions, Trans with an intro by Camelia Elias, Hyperion, London
(2) **Cioran, Emil,(2011) The temptation to exist, Trans by Richard Howard Arcade Publishing, New York**
(3) **Cioran, Emile,(2002)** The New Gods, **trans Richard Howard, The University of Chicago Press, Chicago**
(4) **Dienstag, Joshua Foa,(2006)** Pessimism : philosophy, ethic, spirit, Princeton University Press, Princeton
(5) Lebedeva, Daria,(2015) Quaternion of the Examples of a Philosophical Influence: Schopenhauer-Dostoevsky -Nietzsche-Cioran, Peter Lang GmbH, **New York**
(6) **Schopenhauer, Arthur**,(2005) Studies in Pessimism, trans Thomas bailey, The Pennsylvania State University